(أغنيات منزليّة) .. الرؤية بعين الفنتازيا

هاشم تايه

وفي إطار إستراتيجيته المبنية على مصادرات جارفة لمرئيّات شتى تخضع لتقويض وبناء في برزخ الرّسم قبل أن تخرج إلى فردوسها أو جحيمها يجتهد الجميليّ في وضع العين في مواجهة تحدي أن ترى المفردة البصريّة وقد تجسّدت بطبيعتيْن هما نتاج الجمع بين التمثيل الفوتوغرافي لكيانها، وتمثيله الجماليّ في تركيبة فنتازية تدمج عالمين متنافريْن في عالم واحد، وتؤسّس فضاء حرّاً يسمح لتمثيل متنوّع المصدر بالإقامة فيه. وبهذا الإجراء ضمن الجميلي لمتلقيه التحرّر من الاندماج السلبي بعالمه الذي تتجاور فيه حقيقتان بصريتان موزعاً رؤيته بينهما.

وداخل هذا العالم الصادم بعلاقاته المستحيلة تضاء حكاية، ويجري تمثيل مفردة تشخيصيّة مركزية بعينها يتكرّر حضورها في كلّ عمل، مجسدة في صورة رجل، متوحد غالباً، في عزلة مكان- يبدو أنّه غرفة- طمست حدوده تماماً، وأضحى معروفاً بقرائن دالة عليه هي تلك الأشياء التي تجعل الوجود الإنسانيّ ممكناً في غرفة. ويبدو أن عزلة الرجل منحت هذه الأشياء قوة وسطوة، وصار بإمكانها التحرّك في المكان، وتغيير أشكال حضورها فيه، فتنكمش وتصغر، أو تنتفخ وتتعملق، كما لو أنها قررت أن تجعل الرجل المتوحد ألعوبة بيدها، وأن تتحوّل إلى مصدر لهواجسه.

على المستوى الدلاليّ لا تخرج أعمال معرض (أغنيات منزلية)، الذي أقامه الجميليّ في عمّان العام الفائت، عن إطار هذا المضمون: رجل متوحّد تسطو عليه أشياء غرفته، وتثير حيرته. وهو مضمون أدبيّ جرى التعبير عنه بوسيط بَصَريّ، وخضع لفعل الرسم بأهوائه الحرّة، متحوّلاً إلى مادة ذات طبيعة خاصّة، ومنتقلاً إلى كيان أيقونيّ، ومحققاً نتائج بَصَريّة باهرة بفضل التكنيك البارع لهذا الفنان، إلى جانب حمولته الدلالية الأدبيّة التي ليس ممكناً تفاديها في ضوء ما يُرى كحكاية على سطح تصويريّ، أو التبرؤ منها بالقول "لستُ معنياً بأدبيات العمل الفني..." كما ينوّه الجميليّ في دليل معرضه. لكنه لا يلبث أن يؤكدها، بعد ذلك، بقوله "مازلت أسعى لتقديم النصّ البصريّ على أساس فنتازي"، أو بوصفه فضاء مدونته البصريّة بـ "فضاء غريب"، والشخصيّة المركزيّة فيه بـ "رجل غريب حائر".

وإذن فـ (أغنيات منزليّة) تنويعات على ما يمكن رؤيته عياناً كقصّة بطلها "رجل غريب حائر" يعيش مع نفسه في "فضاء غريب"، "فنتازي" تختفي حدوده، ويحضر فيه ما يستعصي حضوره بمنطق الواقع، وتحصل أشياؤه الجامدة على روح تمكنها من التشكّل والتحرّك على هواها عابثة بالفضاء وصانعة فوضاه، في حكاية بوسعنا أن نرى، خلالها، حدثاً يقع كدخول مفاجئ لكلب على المشهد، أو اجتياحه من قبل طائرة، أو حصان. وحتى الزمن يجري التلميح إليه بظهور الرجل نفسه في أكثر من جهة، وتأرجح أحواله بين قيام وقعود واستلقاء في فضاء اللوحة الواحدة.

وكرسّام مدّد صدام الجميليّ جسدَ قصّة "الرجل الغريب الحائر" على سطح تصويريّ، وشرع يعالجها بمواد وعجائن خليطة، بعد أن جعلها تحت تصرّف فعل الرسم، فانقلب الهدف أو التوجّه من القص، الذي احتجب لسانه وصمت، إلى إنشاء علاقات جمالية بين مرئيّات شتى... وبين هذه وفضاءاتها، صارت الحكاية سطحاً لتقلبات الخطوط والألوان، وتدفقها الحرّ، بنتائجه غير المتوقعة، كما لو أنّ الأمر تحوّل إلى مباراة تتنافس فيها قوى الرسم، وتحقق رغائبها، بإشراف خيال عكف، حتى النهاية، على وظيفته في المفاضلة بين مقترح جمالي وآخر مانحاً جدارة مرّة أخرى. وكل ذلك يتحقق بحذق رسّام يمتلك مهارات تقنية عالية، وخبرة في معالجة السطح التصويري، وإغنائه بعلاقات جمالية بالغة التنوّع.

وبالاستجابة لنزوعه في إنشاء نص بصريّ حديث يوظف الفنان الكولاج كاستعارة للمزاوجة بين أسلوبه في تمثيله مفردته وبين مرجعها البصريّ، ما يجعل العين تتأرجح بين عالميْن. كما يدعم الكولاج الرغبة في تحقيق حالة من التغريب على مسافة التلقي، من شأنها تحويلنا عن سلبية اندماجنا مؤقتاً، بإعادتنا إلى الوعي، ومنحنا فرصة للتأمّل. فضلاً عن أن الكولاج، بالأسلوب الذي اعتمده الفنان، يشاكس عين المشاهد ويقلق وعيه، ويضطره إلى الخروج على ما ألفه في الرؤية والتبصّر.

وتعتمد أعمال الجميلي في تحقيق وحدتها وتماسكها على الإيقاع باستخدام لون أساسيّ بعينه يغطي السطح التصويريّ بتدرجاته، ودعمه بلون ثانوي من دائرته اللونيّة أو من خارجها. كما تتحقق هذه الوحدة بالتكرار، تكرار مفردة، أو شكل، أو خط.

توازن بين تشخيصيّة انطلق بها وبين تطلّعه إلى التعبير البصريّ الحديث، كرسّام معاصر يمتلك وعياً جمالياً عالياً تفصح عنه كلمته التي افتتح بها دليل معرضه، ويستثمر من أجل ذلك طاقات ألوانه في التخفيف من ثقل مفرداته التشخيصيّة وتمويه تقسم مارغريت آتوود كتابها (مفاوضات مع الموتى- تأملات كاتب حول الكتابة) إلى الفصول الآتية :التوجّه – الخداع – التكريس – الإغواء - المشاركة، وتعمل في الفصول الأربعة الأولى على كشف العلاقات المعقدة بين الكاتب ومفهوم الكتابة والكاتب والنص وبين الكاتب والكتاب لكنها في فصل المشاركة وهو ما سأركز عليه اليوم - تبحث في علاقة القراء بالكاتب والكتابة فتمثل شكل العلاقة بين الاثنين بالشكل (٨) حيث يقف الكاتب في جهة والقارئ يواجهه في الجهة الأخرى، دون وجود خط يربط بينهما وهذه النقطة الفارغة تمثلها الكلمة المكتوبة وهي حلقة الوصل الوحيدة بين الاثنين - وهي منطقة حرجة ينبغي على الكاتب احترامها فهي كل ما يملكه الكاتب ليتوجه به نحو القارئ المتلقي لخطابه المنتظر ..

عبر الصفحة يتم التواصل أو التقاطع - فإذا ضجر القارئ من خطاب اي كاتب سيلغي هذه المسافة ويدع الكتاب جانبا - لكن آتوود تنصح القارئ أن ينسى صورة الكاتب وشخصيته التي تظهر في التلفزة أو الإذاعات والصحف في الحوارات والأخبار – (على القارئ أن لا يتأثر بتلك الصور ولا يجعلها تتدخل بينك كقارئ وبين الصفحة التي تقرأها -)

بين القارئ وكلمات الكاتب جو محتشد بالعلامات التي يتوجب عليه حل شفراتها دون العودة إلى اية معلومات خارجية - فالقارئ لدى (آتوود) هوجاسوس بشكل ما - تقول : القارئ جاسوس ومتطفل - شخص اعتاد قراءة خطابات الآخرين ومذكراتهم - وتستشهد بمقولة الناقد نورثروب فراي : القارئ لا يسمع إنه يسترق السمع ..

تطرح آتوود أسئلة منطقية من طراز: لمن يكتب الكاتب ؟ وما وظيفة الكتاب؟ وأين يكون الكاتب أثناء قراءة القارئ للكتاب؟ سيكون مختفيا حتما.

أعود إلى ثيمات الفصول الأخرى باستثناء فصل التوجه التي تحدثت عنه سابقا، أما فصل الخداع فانه يكشف لنا عن ازدواج شخصية الكاتب ومعنى ذلك أن داخل الكتاب يوجد اثنان مختلفان؛ الشخص الذي يظهر عندما لا تكون هناك كتابة، والشخص الشبحي الغامض الذي يكتب وهو الذي يسيطر عليه الكاتب ويستخدمه لانجاز مشروع الكتابة وهو بمثابة قرين يتساكن معنا في جسدنا الآخر وإذ يموت احدنا مالك الجسد يخلد الثاني الشبحي في الكتب، أما في فصل التكريس فتحدثنا آتوود عن علاقة الفن بالمال حين يجد الكاتب كائنا عاديا بحاجة إلى الطعام والثياب وثمن الإيجار فهل يكتب المبدع من اجل المال؟؟ فيضطر الكاتب إلى الكتابة من اجل العيش وهو ما كان الكتاب يحتقرونه في البداية ولكن معظم الكتاب المبدعين - مارسوا الكتابة دون أن يتوقعوا العيش منها - فقد امن بعضهم بتكريس الفن للفن وتكريس النفس للإبداع وحده والمخاطرة بالتخلي عن أشياء كثيرة وهو أمر مدمر- وفي فصل الإغراء يعترف البعض من الكاتبات والكتاب بأن احدهم يحمل رسالة ما للمجتمع - فهل تجعلك رسالتك سيد كل دراساتك وأعمالك؟؟ أم ستتحول إلى عبد يحمل المصباح ليضيء دروب الآخرين؟؟ تبحث آتوود عن الإجابات لدى عدد من الروائيين والروائيات : هل يمكن كتابة قصة بلا مضمون أخلاقي على الإطلاق ؟؟ فتجيب إحدى الروائيات: لا ، لا يمكن مقاومة المضمون الأخلاقي .

تختم آتوود بحثها بان تتحدث عن كلكامش أول كاتب عرفته البشرية الذي أراد اسرار الموت والحياة وعبر الجحيم لكنه لم يفز بالأبدية بل عاد بقصة رحلته وقصة الطوفان وعاد متعبا مكدودا ودون قصته على الحجر وهكذا نأتي بالقصة من الظلام ونكد ونتعب ثم نكتب فوق الحجر أو ما يشبه الحجر بعد مسوّدات عدة..

تمتثل أعمال التشكيليّ صدّام الجميليّ، في معرضه (أغنيات منزليّة)× لإستراتيجية موحّدة تسعى إلى إنشاء فضاء مفتوح على سطح تصويريّ حرّ بوسعه أن يتخفف من هيمنة الفنان ونفوذه عليه، فيستضيف ما يشاء من مفردات بصريّة، ويمنحها حريتها في أن تتجاور، أو تتداخل مستعرضة قوى الشكل الذي تتمتع به.

× أقيم المعرض في غاليري دار الأندى بعمّان، في آذار العام ٢٠١١

قناديل

▪ لطفية الدليمي

آتوود تفاوض الموتى: إغواء ومشاركة

(٢)

وجهة نظر

ثقافة الكره

أحمد حسين

الكره صفة بشرية ولربما يكون غريزة، غير أنه لا يطل بأنيابه إلا عند الحاجة، وقليل من بني البشر تطهرت أرواحهم من هذه الصفة المقيتة، بل هم فصيلة نادرة مهددة بالانقراض منذ وجدت بين ظهرانينا.

لم يعلمنيّ أهلي الكره، لكن المجتمع علمنيّ ذلك، لا أبغي تبرئة أهلي إنما هي الحقيقة التي عشتها في طفولتي ومراهقتي، ففي بيتنا تفتحت عينيّ على جميع مكونات الأمة العراقية. العقائدية والعرقية. بلا استثناء، إلا إن ذاك التفتح لم يجد نفعا مع محيط منقوع بالكره، في مجتمع تتمرن حواس أفراده على الكره صباحاً مساءً، تعلمت الكره ليس لأنني بحاجة إليه بل لأنه ظهر في مرحلة ضياع روحي عشته وعاشه الآلاف من أبناء جيلي الأسود، جيل سبعينيات القرن الماضي، نحن الذين هتكت براءة أعيننا حملات التصفيات العرقية والمذهبية والسياسية واغتصبت آذاننا صرخات الخوف والوجع والأحاديث المرتجفة خوفا في ذاك الزمن البغيض، طفولتنا المبكرة تمرنت على الخوف، استعدادا لظلال الرعب والفجيعة التي خيمت على طفولتنا المتأخرة خلال حرب السنوات الثمان، التي أكلت بدورها بواكير مراهقتنا، لتهجز حرب الخليج الثانية على ما تبقى منها، قبل أن يختطف عقد التسعينيات أجمل سنوات شبابنا ويحبسها في زنزانة الضياع، وقبل أن تحل علينا حقبة ما بعد سقوط النظام المقبور كنّا على أهبة الاستعداد لندخل هذه المرحلة شبه أحياء، أو بوصف أدق أشباح تلبست لبوس البشر.

لا أريد هنا رثاء نفسي وبنات وأبناء جيلي، فما من جيل عراقي نجا من المأساة ولوثة الكره، لكننا الأتعس حظاً من بين جميع الأجيال، فلا طفولة سعيدة نحنّ إليها، ولا مراهقة سويّة استمتعنا بها، أما شبابنا فهو أشبه بالكذبة التي صدقناها احتجاجاً على حالنا المزري.

منذ سنوات وأنا أؤمن بأننا . مواليد السبعينات . مشبعين بالكره دون أن نعرف ذلك أو ننتبه إلا حين يستثيرنا شيء، وقبل أيام تأكدت ليّ هذه الحقيقة . حقيقة من وجهة نظري على الأقل . وتحديدا مع تفجر الأزمة السياسية الأخيرة التي فجرت معها ثورة الحنق والغضب والكراهية التي افتضحت بين الجميع إلا أنها بدت أكثر وضوحاً لدى السبعينيين، ولمن يريد التأكد فليتابع انفعالاتنا وتوترنا حين نتحدث عن هذه الأزمة، بل وفي أحاديثنا وتصرفاتنا عموما.

أنا على يقين أن من حالفه الحظ منّا واكتشف ما في داخله من كره حاول بشتى الطرق التخلص منه، وأنا على يقين أيضا أن معظم هؤلاء فشلوا ولم ينجح سوى النزر اليسير، ربما الكره هو الذي دفعنا باتجاه الشعر، هرباً منه، حتى أن نسبة الشعراء في هذا الجيل هي الأعلى بالمقارنة مع أعداد الشعراء من الأجيال الأخرى، هربنا إلى الشعر لأنه الأقرب إلى الانفعالات والغضب والعاطفة، المتنفس الأوسع للكره، والأنسب لنّا.

كل قراءاتنا واطلاعاتنا لم تنفعنا لعلاج هذا المرض، الكره، هذا الورم الخبيث، الذي يبدأ بنفثة انفعال فيتوالد ويتسع ويستشري في النفس، حينها يصبح كل شيء تجاه الآخر مباحاً، يصبح هو المحرك الأنشط في تحديد الاتجاهات والتوجهات، يتمثل كغذاء لحواسنا فنعتاد الاعتياش عليه، وهو ما نورّثه لمن سيأتوا من بعدنا ونثقفهم عليه بوعي أو من دون وعي، أنها الثقافة التي تفشت دون أن نشعر بها وباتت الأوسع انتشارا.

أرى أننا بحاجة ماسة وملحة إلى مواجهة كرهنا، مكاشفة ذواتنا الضائعة علنّا نجد في متاهات ضياعنا عقارا يشفينا من لوثة الكره، والطريق الأسهل والأسرع للوصول إلى هذا العقار هو المكاشفة مع النفس ومع الآخر، فالطبيب النفسي لا يصف العلاج إلا بعد أن تفتضح أمامه مكنونات مرضاه، عندها يكون الدواء ناجعا للشفاء أو التماثل للشفاء.

(الودّ) في بابل تضيّف الشاعر أحمد عبد الحسين

بابل - المدى

أقيمتْ في قاعة "الودّ" للثقافة والفنون في محافظة بابل، يوم أمس الأول، الجمعة، أمسية للشاعر والإعلامي أحمد عبد الحسين للتحدث عن تجربته الإبداعية، حضرها حشد غفير من المثقفين والأدباء والفنانين غصت بهم القاعة.

قدم للجلسة الشاعر صلاح حسن الذي افتتحها بسرد سيرة الشاعر الثقافية المحتفى به، متحدثاً عن تنقله بين منافيه الثلاثة، الإيرانيّ والعربي والكنديّ، مشيراً أيضا إلى انتقال الضيف من العمل في جريدة الصباح إلى جريدة المدى، مؤخراً بعد تعرضه إلى ضغوط عرفها جميع المتابعين لمسيرة (عبد الحسين) الإعلامية، بسبب أعمدته التي كان يصرخ بها ضد الظلم الذي لحق بالمجتمع جراء السياسات الخاطئة وتسليطه الضوء على هذه الإشكاليات التي تضمنتها العملية السياسية، ما حدا بالقائمين على المؤسسة التي كان يعمل بها إلى إقالته.

تحدث بعدها الشاعر الضيف مرحبا بالحضور، شاكراً القائمين على هذا النشاط الثقافي، مبيّناً بأننا في أمس الحاجة لهذا التواصل وجهاً لوجه مع المتلقي لكي يكون على دراية بحياة المبدع والظروف التي يعيشها، موضحاً أن هذه الجلسة ليست الأولى له في بابل التي سبق وان احتضنته في أمسيات عدة.

قرأ بعدها عدداً من نصوصه الشعرية، مبتدءا هذه القراءات بقصيدة (كربلاء الوقت)، يقول في مقطع فيها:

أليس مكذوباً عليه من يصمتُ بين يديْ صديق
يحدّثه عن القرآن، ثمّ يلتفتُ فإذا الكلامُ قديمٌ
والصديقُ انتهبتْه سيوفُ هواء بعيد، وقرآنُه
مفتوحٌ من الأمس على سورةٍ محرّفةٍ أوّلُها الآنَ
وآخرُها فاتَ الأوَانُ.
(مهجورُ الحاضرِ أنا
أرملُ اللحظة
يتيمُ الأزمنةِ كلِّها
لي كربلاء، وكربلائي لا تنقضي بسهم مثلّثٍ
ونار تأكلُ الخيامَ
كربلائي. الوقتُ، ماضيةٌ في حضورها وتتشبّه
بالمستحيل
إنها كمثل ياقوتة اليأس تجدّد نفسها في كل آن.
في كلّ آنَ فواتُ أوان).

قرأ بعدها قصيدة (زهرة سوداء) وفيها: (ماذا سيقالُ في الروح أبلغُ مما قاله سكران: (الروح خنثى)، لكنّي تهيأ لي، في جلسة خمر، أن الخطأ الحيَّ الذي يخالط وجودي له نحوُ ارتباطٍ بالنسيان، نسيانِ ذلك المغزى الشاق، المعنى المبدّد في دعابة فيثاغورس: (العالمُ عددٌ ونغمٌ). وتذكرتُ أن في قوّة المصطلح تأجيلاً أبدياً للمعنى، بمقدار ما في كلمة الفجر من ليل ونهار، فصرت أطلبُ الروحَ بنقيضها، والجسدَ بلطائفه المخبوءة فيه، وقلتُ: فلينمْ من لم يرَ زجاجَ الزجاجةِ، أما أنا فقدْ رأيتُ الروحَ - القنديلَ الذي منَ رآه لم ينمْ. وقلتُ: يا ربّ ليكنْ لي أربابٌ على قدرِ خطاياي...).

تحدث بعدها (عبد الحسين) عن سني غربته، قائلاً: (قضيت في إيران سنة ونصف، حين كان الوصول إلى إيران لا يتم إلا بعد رحلة هروب

أواخر الثمانينيات، تشبعت هناك بالتجربة الدينية ودرست فيها الفقه، الفقه الذي كنت قد عرفته عن كثب، لانحداري من عائلة دينية، أب شيخ وجد شيخ معمم، نهلت من كتبهم الكثير وهو ما ترونه واضحاً في قصائدي).

عرج بعدها إلى رحلته الثانية إلى سوريا ولبنان، مكانان يقول بأنهما منحاه ما كان يطمح إليه من حرية، بعد هروبه من نظام مغلق، العراق، وآخر أكثر انغلاقاً، إيران، بسبب سياسة البلد الدينية، وفيهما (سوريا ولبنان) كان لدي الكثير من الوقت الذي استثمرته في القراءة المركزة في الفلسفة والأدب، وقد منحتني هذه البلدان، القدرة على الرؤية من زوايا مختلفة وتلمس آفاق الحضارات المتواشجة بين الشرق والغرب، كما بدأت فيها تجربتي في العمل الصحفي، وتمكنت من توسيع رقعة معارفي، مشيراً إلى أن للجغرافية تأثيراً واضحاً عند الشاعر، وبالأخص أن هذا المنفى، منفى دافئ، بعكس المنافي الباردة التي تُحاصر فيها بانعدام تواصلك مع الآخرين بوساطة لغتك الأم.

ألقى بعدها عدداً من قصائده القصار ثم اختتم حديثه عن منفاه الأخير، تورنتو الكندية، التي وصلها العام ٢٠٠٠، وكيف انه كان مؤمنا بسقوط النظام المباد، بالرغم من هذا التصور كان شبه مستحيل آنذاك، يقول: (بقيت مؤمناً بهذا، حتى أنني لم استحصل على جنسية البلد الذي أقمت فيه، كندا، لقناعتي بأنني عائد لا محالة إلى وطني، العراق الذي قررت العودة إليه بعد سقوط الديكتاتورية، وهو ما حصل بداية العام ٢٠٠٥، عدت للموت في بلدي).

قرأ بعدها عدداً آخر من قصائده، بينها قصيدة (٨ شباط):

(كتبتُ إلى الزعيم: رأسُ مَنْ أسمعه يُطحنُ
بمطرقة؟
وفي ليالٍيَ وأيامي أنينُ معدانٍ يتنازعونَ كأسَ
السمِّ وراءَ القصب.
كتبتُ إليه: أخي إن البدوَ الذين وكلتَهم على
منابع الفرات أثقلوها سمّاً
إن عمّالك خلطوا بريدك ببريد العصاة
وإن عقربين كبيرين تحتَ جلدك يلتهمانِ الليلَ
والنهار.
ولما أنْ وصلَ بريدي، كان رأسُ الزعيمِ أخي
يُطحنُ بمطرقة،
وكانَ
جيشٌ جبانٌ وراءَ القصب يفتكُ بالمعدان).

فتح بعدها مقدم الجلسة الشاعر صلاح حسن باب المداخلات، التي شارك فيها شعراء وكتّاب وأكاديميون، بينهم (ناهض الخياط، والدكتور سلام حربه، والدكتور حسن لطيف، والدكتور محمد عودة، والدكتور باقر جاسم، ورياض الغريب، وسلام مكي، والدكتور باسم الأعسم صاحب دار الود).

مداخلات أثنى فيها المشاركون على تجربة الضيف الإبداعية، وجرأته الصحفية، مشيرين إلى حاجة مشهدنا الثقافي لمثل هذا الزخم من القوة لمواجهة ما نمر به من ظروف عصيبة تحاول إعادة العراق الى الخلف.

لتختتم الجلسة بتقديم صاحب دار الود، الدكتور باسم الأعسم، لوحة من أعماله هدية إلى الشاعر أحمد عبد الحسين.